

الرمز الصوفي في إطار جديد أشعار الدكتور إبراهيم مقري نموذجاً

Nasir M. Ibrahim, Ph.D
Department of Arabic, Faculty of Arts
Kaduna State University, Kaduna
angoibrahim@gmail.com

Abstract

Resorted Syrians to use the symbolic manner in which they see as the only suitable vessel to carry all the heart tastes and spiritual. They went through in cases of behavior to the divine presence; they tried to translate their feelings to the readers. This Article language including significant to absorb this mysterious meanings, so they had a broader template and -as says AtefJodah- refers obliquely to the semantics indirect and waving and beckoning not authorized, because they signal where the understanding of the meaning that you do not know the words, they are informed of the phrase in the definition vague, because the meaning of his jacket phrase, and the dress sense phrasemeaning are concept of concealed by the phrase, and the concept of the reference is like Naked for dress, though dressed refer to it more precise and gentler. The beginning of this kind through the hair mystic appears on the hands of the first layer of woolen slave-Rahman ibn Abi Ammar famous Sufism, and Urwa ibn Uthaina and Yahya bin Malik and others, since it is on the hands of those famous Sufi being rooting divine love and display it in a way stylistic symbolic characterized the language of human emotions, and after them came Sheikh Khorasani great Abu Said ibn Abi Khair, who died in 440 AH and built features of this art, and was followed by Attar in the seventh century AH, the development of this symbolic method to be lifted to jolt perfection and maturity. Researcher's aim is to follow this approach in the Arab Nigerian hair, focusing on hair, Dr. Ibrahim Maqari of memorization, which added new a symbolic method after mystic perfection and maturity.

ملخص المقال

لجأ الصوفيون إلى استخدام الأسلوب الرمزي الذي يروونه الوعاء الوحيد المناسب لحمل جميع تلويحات أذواقهم ومواجيدهم الروحية التي مروا بها في حالات سلوكهم إلى الحضرة الإلهية، فحاولوا ترجمة مشاعرهم إلى القراء، فضاقت عليهم المادة اللغوية بما فيها من الدلالة على استيعاب هذه المعاني الغامضة، فاضطروا إلى قالب أوسع وألفاظهم -كما يقول عاطف جودة- تشير من طرف خفي إلى دلالات غير مباشرة وتلوح وتومئ ولا تصرح، وذلك لأن الإشارة فيها فهم معنى لا تعرفه العبارة، فهي أبلغ من العبارة في تعريفه المبهم، لأن فيها معنى سترته العبارة، لأن العبارة لباس المعنى، فالعنى المفهوم من العبارة مستور بها، والمفهوم من الإشارة كالمكتشف العاري عن اللباس وإن كان مكتسباً بلباس الإشارة لأنها أدق وألطف، بدأ هذا النوع يظهر من خلال الشعر الغزلي الصوفي على يد الطبقة الأولى من الصوفية كعبد الرحمن بن أبي عمار الشهير بالقس، وعروة بن أذينة ويحيى بن مالك وغيرهم، إذ على يد هؤلاء المشاهير من الصوفية تم تأصيل الحلب الإلهي وعرضه بطريقة أسلوبية رمزية متسمة بلغة العواطف الإنسانية، ثم أتى بعدهم الشيخ الخراساني الكبير أبو سعيد بن أبي الخير المتوفى سنة 440هـ وشيد معالم هذا الفن، وجاء بعده العطار في القرن السابع الهجري

بتسمية هذا الأسلوب الرمزي إلى أن رفعه لدرجة الكمال والنضوج. يستهدف الباحث إلى متابعة هذا الأسلوب في الشعر العربي النيجيري مركزا على شعر الدكتور إبراهيم مقري لاستظهار الجديد الذي أضافه الشاعر في الأسلوب الرمزي الصوفي بعد كماله ونضوجه.

المقدمة

عُرف أن الرمز الصوفي كان يتركز على أمرين أساسيين وهما؛ الرمز الغزلي والرمز الخمري اللذان بهما يحاول الصوفي الشاعر إلى ترجمة مشاعره ومواجهته الروحية فلا يجد وعاء مناسباً الذي يحمل جميع تلوحياته وكنائياته إلا عن طريق الأسلوب الرمزي، مادام أن القالب الرمزي هو القالب الوحيد الذي إستعانوا به الصوفية في ترجمان مشاعرهم ووجدانهم الروحية عند سلوكهم إلى الحضرة الإلهية، وهو أيضاً نفس القالب الذي استخدموه في ترميزهم إلى جناب سيدنا رسول الله ﷺ بالمحبة الخالصة والأشواق المضنية، وكان من فرسان هذا الميدان - في نيجيريا هذه الأيام - الدكتور إبراهيم مقري الذي أصدر خمس دواوين في المديح النبوي، ومن خلال أبيات هذه الدواوين أدرك الباحث أن الشاعر أتى بجديد حيث استخدم القالب الرمزي في مدح سيدنا رسول الله ﷺ بأسلوب الغزل الإلهي المعروف عند الصوفية فحوّل هذا الأسلوب إلى الغزل النبوي الذي لم يعرف في الأدب الصوفي من قبل، وهذا مما دعى الباحث بالتركيز على هذا الجانب حتى نشف إبداعية هذا الشاعر النيجيري وتطويره للقالب الرمزي الصوفي في الغزل النبوي.

الشاعر في سطور

هو الدكتور إبراهيم بن أحمد المقري بن سعيد بن خالد بن أحمد بن حمزة، ولد الشاعر في سنة ست وسبعين تسعمائة وألف (1976م) الميلادية في مدينة زاريا، ومن أسرة شريفة بانتسابها إلى النبي ﷺ، كما عُرفت هذه الأسرة أيضاً بالعلم والتعليم والعمل الصالح.

تتلّمذ الدكتور إبراهيم مقري على يد علماء أجلاء، ابتداء من والده الشيخ أحمد المقري سعيد وعمّه الدكتور خالد آدم سعيد اللذان كانا له بمثابة المدرسة الأولى التي مر بها في الوهلة الأولى لحياته العلمية، وأكمل مدرسته الابتدائية بين خمس سنوات من عام (1981-1986م)، كما بدأ دراسته الإعدادية في نيجيريا وأكمل الثانوية في الأزهر الشريف، ثم نال شهادة الليسانس في الصحافة والإعلام باللغة العربية من قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر الشريف عام 1999م، وعمل الماجستير في اللغة العربية بجامعة أحمد بللو زاريا عام 2002م، كما نال شهادة الدكتوراه من جامعة بايروكنو في عام 2009م¹، والآن هو محاضر بقسم اللغة العربية بالجامعة وإمام المسجد المركزي بأبوجا عاصمة نيجيريا.

إغترف الدكتور إبراهيم من مشارب علمية كثيرة خلال مروره بالمراحل العلمية بين المدرسة الابتدائية والثانوية والدراسات العليا، كما يعبر الدكتور ناصر بقوله: "إلا أن الإشارة إلى عدد كبير من العلماء الذين ساعدوا في تكوين شخصيته، حتى أصبحت شخصية فعالة ساهمت في حركة الشعر العربي - وبالأخص المديح النبوي - والتعليم والتأليف، من مشاهير العلماء الذين درسوه في مرحلتي الدراسات الجامعية والدراسات العليا، وبعض المشايخ في الزوايا العلمية؛ كالشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني الحسيني البرناوي، والبروفيسور حمدي حسن، والبروفيسور سامي الكومي، والبروفيسور علي صبح، والبروفيسور إبراهيم خليفة، والبروفيسور مسعود راجي، والبروفيسور محمد أول أبو بكر، والبروفيسور سركي إبراهيم وغيرهم من العلماء الأجلاء في المجال الأكاديمي والمجالات العلمية الأخرى".²

ألف الدكتور إبراهيم مقرري مؤلفات عديدة كما نشر المقالات العلمية الكثيرة في مجالات اللغة العربية التي تبلغ حوالي ثلاثين مقالة، بين ما شارك بها في المؤتمرات الدولية والعالمية، وما نشرت في المجالات العلمية الأكاديمية في الجامعات النيجيرية المختلفة.

الأسلوب الغزلي في الشعر الصوفي

يظهر جليا بأن الصوفية استخدمت أسلوب الرمز في أشعارهم محاولين التعبير عن عواطفهم الروحية في حالات سلوكهم للوصول إلى الحضرة الإلهية، وعند ما يصل الصوفي مقام المشاهدة فيرى آيات الله سبحانه وتعالى في ملكوته وتجليات الصفات في مخلوقاته ومشاهدته بعين البصيرة هذا الجمال المطلق للذات الإلهي فيحاول التعبير عن هذه الصورة لا مشاهدة الذات الإلهي بالذات الإنساني تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فيشتاق الإنسان إلى هذا الجمال المطلق للذات الإلهي فيحاول التعبير عن هذا الجمال المطلق فلا يجد المادة اللغوية تستوعب أشواقه ومواجيده فيضطر إلى استخدام قوالب الأسلوب الرمزية التي تحمل رسالته الروحية، ولعل هذا هو القالب الوحيد الذي وجدته الصوفي يشفي غليله بأن يترجم هذه الجماليات المطلقة عن طريق الكناية والتلويح بلغة العواطف الإنسانية التي سميت بـ"الغزل الإلهي".

وعلى ضوء هذا جاءت قصائد كثيرة من شعراء الصوفية قديما وحديثا الذين وصلوا إلى هذه المرحلة فسميت قصائدهم على هذا النمط "بالحب الإلهي" و"الغزل الإلهي"، وناهيك على سبيل المثال لا الحصر أول من تعتبر أنها تغنت بالحب الإلهي وهي السيدة العابدة التقية رابعة العدوية التي وصل بها الحب الإلهي إلى درجة أن تعبدته عبادة المحبين الأصفياء، لا لمخافة عذابه بالنار ولا لرجاء نعمته بأن يدخلها جنته، بل هي تعبدته لأنه تعالى استحق أن يعبد لذاته، لا لمخافة عذابه وعقابه أو لرجاء نعمه ورحمته. وقد روي في إحدى مناجاتها مع ربها أنها قالت: 'إلهي إن كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جهنم، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرمنيها، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي'³. وقد وصل بها عبادتها لله تعالى أن ارتقت إلى درجة المقام الذي تعبدته حبا له وشوقا إليه ومن ذلك قصتها مع سفيان الثوري، وقد سأله ما حقيقة إيمانها، فأجابته بقولها: "ما عبديته خوفا من ناره ولا حبا لجنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبديته حبا له وشوقا إليه"⁴.

وقد تطور هذا الحب الإلهي إلى أن ارتقى درجة الغزل الإلهي على يد سلطان العاشقين عمر ابن الفارض لدقة الوصف ودقة الشعور وخفة الروح، ومن ذلك ما قال في قصيدته الثائية التي بعنوان: "نعم بالصبا قلبي صبا"، ومطلعها:

نَعَمْ بالصَّبَا قلبي صبا لأَجِبْتِي فيا حَبِّدَا ذاك الشَّدَى حَيْرَ هَبَّتْ

سَرَّتْ فَأَسْرَتْ للْفَوَادِ عُدَيْتِي أحاديثَ جيرانِ العُدَيْبِ فَمَسَّرَتْ

إلى قوله:

وَلَوْ لَمْ يَزُرْنِي طَيْفُهَا نَحْوَ مَضْجَعِي فَصَيِّتْ وَا لَمْ أَسْطِعْ أَرَاهَا بِمَقْلَتِي

تَحْتَلُّ زُورِ كَانِ زُورِ خَيَالِهَا لِمَشْبِهِهِ عَنِ غَيْرِ رُؤْيَا وَرُؤْيَةٍ

بَفَرَطٍ غَرَامِي ذَكَرَ قَيْسٍ بَوَجْدِهِ وَبَهَجَتْهَا لُبِّي أَمْتُ وَأَمْتُ

فَلَمْ أَرْ مِثْلِي عَاشِقًا ذَا صَبَابَةٍ وَلَا مِثْلَهَا مَعْشُوقَةً ذَاتَ بَهْجَةٍ

هِيَ الْبَدْرُ أَوْصَافًا وَذَاتِي سَمَاءُهَا سَمَّتْ بِي إِلَيْهَا هَمَّتِي حِينَ هَمَّتِ 5

هذا، وعندما تنتقل إلى ابن عربي لما جاء بديوانه ترجمان الأشواق فسلك فيه طريق الغزل والتشبيب وأغرق فيه حتى ظن بعض الناس أنه كان يتغزل بامرأة إنسانية رومية، وبعضهم قالوا إنه يتغزل بطريقة رمزية غزلية، فاشتد الجدل في حلب بين الفقهاء وغيرهم مما جعل بدار الحبش وإسمائيل بن سودكين يطلبان الشيخ بن عربي أن يشرح الديوان بنفسه ففعل.

أما لماذا سلك طريق الغزل والتشبيب وأغرق فيه، وذكر كرمات جعلهن مدار غزله، بينما يقصد معارف ربانية وأنوار إلهية وغير ذلك؟ فأجاب الشيخ بقوله: "جعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات، فتتوفر الدواعي على الإصغاء إليها، وهو لسان كل أديب طريف روحاني لطيف"6.

ولم يزل ابن عربي يوضح للقارئ منحى الكنى التي أومئ إليها عن طريق الرمز قائلاً: "فكل اسم أذكره في هذا الجزء فقط أكني، وكل دار أندجها فدارها أعني، ولم أزل في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية والتنزلات الروحانية والمناسبات العلوية جريا على طريقتنا المثلى فإن الآخرة خير لنا من الأولى"7.

هذا هو شأنهم في الغزل الإلهي والخمر الأزل عن طريق الرمز، مما جعل أسلوبهم أن صار أسلوبا أدبيا راقيا عاليا، وفيما يبدو أن الصوفية أرادوا في استعمالهم للأساليب الرمزية في الغزل الإلهي وغيره، أن يجعلوا الإنسان العادي يتعامل مع النص الأدبي الصوفي ويتذوقه بطريقة المعروفة في شعر الغزل العربي مستخدمين طريقة الغزل العذري العفيف بأسلوبه وألفاظه وتنسيق أفكاره وخياله حتى يظن أنه يتعاش معهم في عواطف الغزل المعتاد، في حين أنهم في واد وهو في واد آخر، انفصل بينه وبينهم روابط المقاصد والأهداف، فتركوه مع ذلك يتذوق جمال الأسلوب وصياغة الألفاظ، ويتمتع بتنسيق الأفكار والخيال على طريقتهم المعروفة بالغزل في الشعر العربي.

الغزالانيويعندالدكتور إبراهيم مقري

ولا شك أن الدكتور إبراهيم مقري سلك بأسلوبه الرمزي هذا المنوال، إلا أن أشواقه تميل إلى جانب الحضرة المحمدية، وهذا الذي أدي أن تأتي بعنوان هذا المقال الذي قد يحدث قلما في نفوس القراء والمستمعين، إذ أن ما عُلم في الشعر الصوفي هو ما يسمى "بالحب الإلهي" أو "الغزل الإلهي"، وحقيقة الأمر أن هذا شبيهه بذاك والشاعر قد أتى بجديد -فيما يرى الباحث- في المديح النبوي، مما أضافه في هذا الميدان المثمر، فسلك به على نَحج من نظموا قصائدهم في الغزل الإلهي مستعملاً فيه أسلوباً رمزياً صوفياً، وقد صرح الشاعر بذلك في إحدى قصائده الغزلية

حيث ذكر أنه كان يرمز في مدحه عليه الصلاة والسلام باسم زينب وليلى ودعد، حتى لا يظن القارئ بذكر هذه الأسماء أنه يقصد بها امرأة عربية أو أجنبية، ومن ذلك قوله:

أصارحه بالمدح طورًا وتارة بزینب ترميزًا وليلى وبالمدد

فمن تك دعد والحبيب محمد وليس سواه في الوجود بلا جحد

ولا شك أن هذا الأسلوب الرمزي يحمل في طياته تلويحات وتعريضات وكنائيات غامضة حتى لا يكاد القارئ العادي أن يفرق بينه وبين غيره، فهذا مما دفع الشيخ الأكبر محي الدين عربي إلى أن يصرح للناس - في مقدمة شرح "ترجمان الأشواق" - بطريقتهم الصوفية في الأسلوب الرمزي حتى لا يقع القارئ في لبس، أو حتى لا يحمل معنى الظاهر للأبيات، بل المقصود بما بواطن المعاني الكامنة في الأبيات، فأشار الدكتور عاطف جودة إلى ذلك خلال حديثه عن هذا الموضوع قائلاً:

"الذي يجعلنا نحسب ونحن نقرأ هذا الشعر الصوفي أننا إنما نقرأ شعرًا يتغزل الشاعر فيه بمحبوبته من بني الإنسان، وذلك لصعوبة التمييز بينهما، ولكن سرعان ما يتبدد هذا اللبس إذا عرفنا أن الصوفي إنما يصف من خلال العواطف الإنسانية حبا إلهيا مألوفًا، وقد فطن شعراء الصوفية لذلك فقدم بعضهم بين يدي ديوانه مقدمة يشرح فيها غايته وقصده دفعا لسوء الظن"⁸.

ويتضح جليا أن الشاعر قد سلك نهج ابن عربي، لذا نبه في البيتين السابقين ليعرف القارئ أنه يسير في نظمه على الأسلوب الرمزي حتى لا يقع في سوء الظن به في فهم معنى الظاهر للأبيات. خلاف ما يقصد بها من المعاني الباطنة في المديح النبوي، إذًا يمكن أن ننظر إلى نموذج من غزليات نبوية في مجال المديح النبوي.

نموذج من الغزل النبوي في شعره

يقول الشاعر في إحدى قصائده الغزلية النبوية من ديوان نجوى الفؤاد:

ويا عاذلي في حبها وامتدادها فما لك في لوم المتيم في دعد

لك الله لو أنصفت لم تجد القضا فما لي في هذي المحبة من بدّ

وحظ السوى في القلب أضغاث حالم فما لي في ليلي وما لي في هند

وكل بلائي فيك أنك جاهل وما ذقت طول العيش من ألم الوجد

فسرعان ما أتى الشاعر بأبيات تلي ما سبق ليبدد هذا اللبس للقارئ والسامع العادي، ليوضح مقاصده ومراميه بهذا التعريض والترميز

قائلاً بصيغة الاستفهام:

أتعلم من أهوى؟ أتعلم من سبي فؤادي وأضني؟ عذرك الجهل لو يجدي
هي الدعد أصل الخلق والأمر فاعلمن هي الجندل المعروف من قبل ما عبد
هي عين هاء الطمس والجهل والعمى ونقطة باء حامل ألف المد
فدعني عن الترميز بالغيد والظبا وهل يصنع التصريح ما الرمز لم يبد
أخاطب هندًا أو سليمان وكلما أخاطبه رمزًا عن المصطفى المهدي

من هنا، عندما يسمع القارئ هذين البيتين الأخيرين يتضح له أن هذا الغزل لم يقصده الشاعر إلى إظهار أشواقه نحو أية امرأة إنسانية، إنما يوجهه إلى محبوه عليه الصلاة والسلام بلغة العواطف الإنسانية، مستخدمًا فيه ألفاظًا لأسماء المرأة العربية، كناية عن إظهار اسمه "محمد" عليه الصلاة والسلام.

وللشاعر قصيدة طويلة أيضًا في الغزل النبوي عن طريق التعريض بالمرأة الإنسانية في ديوانه "نجوى الفؤاد" حيث يخاطب الشاعر خليليه -أي قلبه وعقله - أن يمشيا إلى سقط اللوى ليلبغا تحياته العطرة إلى محبوبته - يقصد النبي - التي بعدت عنه، ولكن قلبه ما يزال متعلقًا بها، ويرضى بكل ما تحب وترضى به، ولعله من ذلك يجد منها قبولاً، أو تسمح له بالدنو إليها، فيكون من المحظوظين في الحياة الدنيا - وكل ذلك على سبيل التعريض - ومن ذلك قوله:

خليلي هل هذا المسير إلى اللوى إلى حضرة المحبوبة الأقدسية
إذا ردتما فلتخبرها عن الفتى ال هيوم هنا فيها، وأدّ تحتي
فتى قد تحلى عن سواها وإنه تحلى بما ترضى فهلا تجلت

إلى قوله:

فسرت على علمي بمن هي هائما (لأطلب ليلي وهي في تجلت)
وقد جف جلدي في العظام اشتياقها ينوء الورى عن حمل بعض بليتي
كما طال ليلي والهيام معذبي وعهدي به كالملتقى للأحبة
أيا ليل رفقًا بي ورفقا بمطلي وزج به في الطالعات السعيدة
فيجمعها بي مجلس من مجالس ال غرام ولو في الطيف مقدار لمحة
أراني وإياها خلونا عن الورى أجاذب أطراف الحديث بدرتي
أخاطب دعدي وثنائي مودة وإني بأقصى الغرب وهي بطيبة

أراها وشط البون بيني وبينها يقربني منها تهيح لوعتي
متى الوصل يا داء الفؤاد وطبه فقد نالني بعض الأذى من محبتي

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يتغزل بمحبوبته ليلي ودعد الثان ابتعدا عنه منأقصى البلاد، ولم يزل ينظم درر ثنائه لها، ولعله يراها يوماً في الملتقى ولو بلمحة نظرة، ويبدو أن الشاعر قد شغف في حب هذه المرأة الإنسانية التي تسمى بليلى حيناً أو دعد حيناً آخر، وحقيقة الأمر أن الشاعر لا يريد بهذا الغزل غزلاً إنسانية للمرأة العربية، وإنما يكنى ويلوّح باسم النبي ﷺ.

وفي الأبيات الآتية نشاهد أن الشاعر قد استمر في إظهار أشواقه نحو محبوبته -بطريقة رمزية- مشيراً إلى ما كان بينه وبين محبوبته من الميثاق والعهد - في المحبة - في عالم الدّر قبل وجود الخلائق، فلم يترجح عنه شيئاً من هذه العلاقة الودية وإن بعدت عنه فلغرامه بها وشدة اشتياقه إليها، يتخيل أنه يراها بأبم عينيه أو يرى صورة جمالها، فتترسم هذه الصور الجمالية ظاهرة في صورة الأكوان، ومن ذلك قوله:

أ أتركها والعهد بيني وبينها قبيل وجود الكون يوم الوثيقة
فإني بيوم الذر بايعتها على ال غرام، وهل أوصي باحلال بيعة؟
أ أتركها - قل لي - ولم يبق غيرها بمرآة بصري أو بمرآة بصيرتي
أراها هي المعنى التي قد تسترت وراء ستور الكون في كل صورة
هي الدعد أصل الخلق والأمر فاعلمن هي الجندل المرفوع قبل البرية

واستمر الشاعر في الأبيات التي أتت بعد هذه الأبيات المذكورة في عتاب العذال الذين يريدونه أن يفارق محبوبته -بطريقة رمزية- ولكنه لم يلق إلى كلامهم بالا، بل واصل إلى اتباع سنة الهوى -بين حق وشرعة- لربط العلاقة الودية الموجودة بينهما، ولم يزل على هذه الحالة، إذ يوماً جاءت محبوبته وهي فتاة بلغت في منتهى الجمال - كناية عن رؤية النبي - يفوح من حولها روائح عطور بنفسيح تزينت بملابس فاخرة من سندس واستبرق وفي يدها أساور من فضة، ومن ذلك قوله:

ولما عقدت العزم في الزور سالكا إليها طريقا بين حق وشرعة
لإحقاق عطف النسق بيني وبينها فقد كل لحظي دون إصداء رغبتي
إذا بفتاة كالبنفسج عرفها أخلاي ما أدراكما ما هي التي
فإن تسئلوني عن دقائق وصفها خذوه بسيطا في الحروف الشديدة
عليها ثياب سندس حضر كما هي استبرق حلت أساور فضة
فظوراً تضاهي الذات في النور والخفا وطوراً تباهي في صفات الخليقة
كذلك شأن الدعد، والشأن فوق ذا ففي شأنها قد حار خاطر منعت

يبدو من هذه الأبيات المتقدمة أن الشاعر قد استعمل في صياغة ألفاظه بعض المفردات ذات دلالة رمزية تحمل في طياتها معنى سائرًا الذي هو غير مراد، عن طريق التلويح والتميز، ومنها قوله: "سالكا" بصيغة الفاعل، ومعناه الظاهر: الذهاب على شيء... أو الذي اتخذ شيئًا وذهب عليه، يقال فلان سلك طريقه إلى البستان، أي اتخذ الطريق إلى البستان، هذا بمعناه العرفي.

أما بمعناه الرمزي "السالك" 9 هو من استقام بالنوافل تقربا إلى الله تعالى، و"السالك" عند ابن عربي: الذي يمشي على المقامات بحاله لا بعلمه¹⁰.

وأما قول الشاعر "طريقا" فمعناه ما تطرقه الأقدام، وأما معناه الرمزي الذي يقصده الصوفية "الطريقة" إلى الله تعالى، وهذا هو معناه عند ابن عربي، لذلك كان من الشمول بحيث تدرج تحته التجربة الصوفية بكاملها، ابتداء من تنبه القلب من غفلته... مرورًا بمجاهدة النفس ورياضتها، وصولًا إلى النشاط الروحي وتفتح فعاليته¹¹.

وقول الشاعر أيضا: "بين حق وشرعة" فالحق بمعناه العرفي نقيض الباطل، ويقال حققت الأمر وأحققته، أي كنت على يقين منه¹². و"الحق" عند الصوفية يقصد به الله تعالى.

وقوله أيضا "شرعة" أي الشرع أو الشريعة، وهي ما أرسل الله بها المرسلين مختلطا بذلك للبشر منهجيا حيويًا في علاقتهم به، وعلاقة بعضهم ببعض.

وأما قول الشاعر "إذا بفتاة" فمعناه العرفي، الشابة أو البكر، وأما معناه الدلالي الرمزي كناية عن "الني" □ إذ بعثه الله تعالى إلى الناس والجن كافة عندما جاوز سن الصبا، في الخامس والعشرين من عمره.

وقولها أيضا "عرفها" أي الروائح الطيبة من العطور والبخور وغيرها، وأما معناه الرمزي الذي يقصده الشاعر، فهو دعوة النبي □ التي انتشرت في الآفاق بين مشارق الأرض ومغاربها، فأصبحت كروائح الطيب المنتشر في الأنحاء والأرجاء.

الخاتمة

يتجلى للقاري والمستمع الكرام أن الباحث في هذا المقال حاول اكتشاف الجديد الذي أضافه الشاعر الدكتور إبراهيم مقرري في مجال الحب النبوي عن طريق الأسلوب الرمزي تشويقًا للقراء إلى قراءة هذه الأبيات آناء الليل وأطراف النهار، ومن ذلك نلاحظ أن هذا المقال قد أسفر إلى النتائج الآتية:

- مدى اهتمام الصوفية بالأسلوب الرمزي في التعبير عما يجول في خواطرهم ومشاعرهم التي وجدوها في حالات سلوكهم.
- إمكانية استخدام قالب الرمزي عند الصوفية لابتداع جديد في الأدب الصوفي، كما رأينا ذلك عند السيدة العابدة التقيّة رابعة العدوية وسلطان العاشقين عمر ابن الفارض والشيخ الإمام الأكبر ابن عربي ثم الشاعر الدكتور إبراهيم مقرري.

- إن الغزل النبوي حاشا لله أن يكون جزء من الغزل بالمرأة المعتاد عند العذريين أو الغزل بالغللمان الذي حدث في العصر العباسي , فالغزل النبوي هو الحب الخالص والأشواق المفعمة إلى جناب حضرة سيدنا رسول الله ﷺ بالأسلوب الرمزي.

الهوامش

- 1 إبراهيم, ناصر مرتضى(الدكتور). الدكتور إبراهيم مقري وديوانه نبضات قلب في المديح النبوي, الطبعة الأولى سنة 2014م, التزكية للطباعة والنشر أبوجا - نيجيريا. ص45.
- 2الرجع السابق ص46.
- 3كبرا, شيخ عثمان(الدكتور) الشعر الصوفي في نيجيريا, الطبعة الأولى2004م, ص 156.
- 4المرجع السابق، ص 157.
- 5 ديوان ابن الفارض,تحقيق د. درويش الجويدي, الطبعة الأولى سنة 2008م -1429هـ المكتبة العصرية, ص 44.
- 6ابن عربي، محي الدين (الشيخ)، ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، دار الفكر، الطبعة الأولى، (1962م). ص: و .
- 7ابن عربي، محي الدين (الشيخ)، ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، دار الفكر، الطبعة الأولى، (1962م). ص: هـ.
- 8عاطف جودة نصر، (الدكتور) الشعر الصوفي، دراسة فنية وموضوعية، 1983م، ص 113.
- 9الحكيم، سعاد (الدكتورة) المعجم الصوفي، (بدون تاريخ)، ص719 - 720.
- 10ابن عربي، فصوص الحكم، ج2، ص 134.
- 11الحكيم، سعاد (الدكتورة) المعجم الصوفي، (بدون تاريخ)، ص 720 - 721.
- 12معجم مقاييس اللغة، مادة "حق".